مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (3)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (3) 2016

إشكالية السـعادة عنـد سـبينوزا

الدكتور محمد شحادة*
عبد الرحمن عبد الابراهيم**

(تاريخ الإيداع 21 / 2 / 2016. قبل للنشر في 11 / 5 / 2016)

□ ملخّص □

تعتبر فكرة السعادة من أهم ما تحدث عنه **سبينوزا** في الجانب الأخلاقي في فلسفته، لكن حديثه جاء بطريقة تفوق غيره من الفلاسفة على حد التعبير، فمذهبه الفلسفي في الأخلاق رتبه ترتيباً رياضياً، أي ينطلق من بديهيات ومسلمات إلى البرهان الأخلاقي الذي يعطي أي مسالة أخلاقية قيمة حقيقية في ذاتها.

فما نريد أن نتحدث عنه في بحثنا هنا عن السعادة كإشكالية عند **سبينوزا**والتي تتضمن المقدمة ويتم الحديث فيها عن **سبينوزا** الفيلسوف وماهي أثاره، ويليها توطئة عن معنى السعادة، أما موضوع البحثفينقسم إلى محورين رئيسين، المحور الأول نتناول فيه سرد تاريخي لمفهوم السعادة ابتداءً بالفلسفة اليونانية من السفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو أنتقالاً إلى بعض الفلاسفة العرب،ومنهم الفارابي وأبن سينا وأبن مسكويه وانتهاءً بديكارت رائد الفلسفة الحديثة حتى نصل الى **سبينوزا**، أما المحور الثاني فهو يتعلق بمفهوم السعادة عند **سبينوزا** الذي أستطاع أن يربط كل ما نتصل به من اللذة والرغبة والشهوة وما نعيش فيه بحياتنا من فرح وحزن وألم في الله أو الطبيعة.

الكلمات المفتاحية: الأمل– الخشية– الرغبة – الفرح– الحزن– الدغدغة والألم.

* **مدرس– قسم الفلسفة– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق– سورية.**
** **طالب ماجستير – اختصاص شعبة الأخلاق والجمال– قسم الفلسفة– كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة دمشق– سورية .**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (3)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (3) 2016

The Dilemma of Happiness with Spinoza

Dr. Mohammad Shahada*
Abed ALrahman Abed AlAbraham**

(Received 21 / 2 / 2016. Accepted 11 / 5 / 2016)

□ ABSTRACT □

The Idea of Happiness is considered one of the most important subjects , that Spinoza had discussed, in the ethical side of his Philosophy, but his discussion came in a way superior to other philosophers, as it is said. His philosophical doctrine has been arranged by him in a mathematical way, that,s he sets up from axioms to reach the ethical proof, which gives any ethical axioms the virual value in itself.

Key Words: Hop and fear, Desire, joyness, Sadness, Tittilation and Pain

* **Assistant Professor, Department of Philosophy, Faculty of Art and Humanities, Damascus University, Damascus, Syria.**
** **Postgraduate Student, Department of Philosophy, Faculty of Art and Humanities, Damascus University, Damascus, Syria.**

مقدمة:

يعتبر الفيلسوف الهولندي **باروخ سبينوزا*** من أهم المفكرين في القرن السابع عشر، وكان من أكثر المناصرين في ذلك الوقت للفلسفة على الدين، وقاد بفكره الثورة التي تدعو الى مراجعة الذات مع علاقتها باللاهوت، إلاأن هذه الدعوة انقلبت عليه في هولندا واتهم بالإلحاد ومخالفة اللاهوت اليهودي.

فقد طرح **سبينوزا** مفهوم السعادة ضمن الأخلاق وجعل منها بحثاً هاما، بالإضافة الى وضع رسالة كاملة أخصها في الله والإنسان والسعادة وكان هدفها تحديد مفهوم السعادة مع معطيات العقائد الدينية، فوصول الإنسان الى السعادة لايتم بدون معرفة الله، وهذه المعرفة أخص بها الإنسان الذي يمتلك العقل الحر.

فكل ما يصدر عن الإنسان من رغبة ولذّة وشهوة وفرح وحزن وألم مصدره الله، لكن هذا الفهم الديني لموضوع السعادة يتعارض مع الوجهة النقدية التي جاء بها **سبينوزا** حيال الدين، لذلك يتركز بحثنا حول سؤال محوري وهو كيف أستطاع **سبينوزا** أن يجعل السعادة منسجمة مع الفهم الديني؟ فبرغم من موقفه النقدي حيال الدين لا يمكن أن يتصور السعادة بدون العقيدة الدينية.

---

* ولد **سبينوزا** في أمستردام الهولندية في 24 نوفمبر 1632. من أسرة يهودية، تعلم في المدرسة التلمودية في امستردام على يد **(فان دان انده)** الذي كان من أكثر النفوس المناهضة للتقاليد التي كانت سائدة في تلك الفترة، وتأثر به **سبينوزا** منذ صباه.ادت جميع الأحداث التي حصلت بهولندا في ذلك الوقت الى خروج سبينوزا من الطائفة اليهودية لشدة ما تفرضه على أفرادها من قهر، واخذت علامات الثورة التي قام بها تدريجياً تتكشف، مما ادى الى طرده من الطائفة اليهودية، وقام أحدهم بطعنه بالسكين لكنه لم يمت، مع هذا كله لم يتخلَّ **سبينوزا** عن واحد من مبادئه. ***ومن أهم الاثار التي كتبها سبينوزا:*** **(رسالة في فلسفة ديكارت مبرهنة على الطريقة الهندسية) و(الرسالة الموجزة في الله والإنسان والسعادة) و (رسالة في إصلاح العقل) و (الرسالة اللاهوتية السياسية) و(الأخلاق)** وهو أعظم ما كتبه في الفلسفة، فكل ما اراده فيلسوفنا من هذا الكتاب استخدام المنهج الهندسي على الانفعالات والمشاعر البشرية، ومعالجتها في عالم الهندسة على الخطوط والمسطحات، لكن الكتاب لم ينشر إلا بعد وفاته. وبذلك تعتبر الفلسفة السبينوزية هي لحظة مفصلية في تاريخ الفكر الغربي وذلك لما فيها من جرأة، فإذا ما عدنا إلى القرن السابع عشر وهو القرن الذي عاش فيه **سبينوزا** بما فيه من رواسب دينية وجهل قائم على التزمت نجد أن الهدف الذي كان يسعى إليه مع فلاسفة عصره هو إخراج المجتمع من هذه التفكير الخرافي الأسطوري، وأن يعرج بهم إلى أعمق العلوم وأوسعها.

توطئة:

إن من الأمور التي يحتاجها المرء في حياته اليومية سعادة النفس، وهذه السعادة لا تحتاج لمقدمات لصنعها أو معدات لاختراعها،والطريق إلى السعادة لا يعرفه سوى أولئك الذين يدركون أين تقع حدود السعادة بالتحديد، والسعادة هنا تكمن "**في ممارسة الفضائل، والتحلي بالأخلاق فلابد كي نعيش سعداء من أن نتعهد أنفسنا الفضيلة ونحرص على إتباع المبادئ الاخلاقية. ونعيش العيشة الطيبة التي من شأنها أن تضمن لنا الطمأنينة والحياة السعيدة**".**(1)**

فبعض الناس يسقطون حينما يعبرون طريق السعادة، وهنا أقصد من كان ينظر الى الحياة بطريقة التشاؤم، ويفسد على نفسه لذّة الحياة، فيجب التحرر من هذاالشعور البأس، والتخلص من كل ما هو متشائم للحفاظ على الاستقرار النفسي في وجه صدمات الحياة، فالسعادة لا تكمن في الطلب والرجاء والتمني، بقدر ما تكمن في صحة

الأبدان.وعلى هذا يكون الفشل والسقوط،أقصد التشاؤم،لايعني الموت، بلأن الكثير من الناس قادرون على النهوض مرة ثانية، والاستمرار في متابعة سيرهم "**فليست كأس الحياة مترعة بالشقاء وليست مملوءة بالمرارة، وإن في مواجهتنا لأحداث الحياة وكفاحنا في مختلف ميادينها، ما يحقق لنا أن ننعم بالنصر وسعادة الحياة**".(**2**)فالحياة السعيدة التي يبتغيها الإنسان يجب أن تكون خالية من الشقاء والعناء ومن كل ما يحمل هذا الإنسان من تشاؤم.

من هنا نجد أن السعادة والشقاء أمران يوجدان في الطبيعة البشرية،لكن منظور الإنسان لهما يختلف من شخص الى شخص أخر، فبعض الناس تشعر بالسعادة عندما

---

1. براتراند رسل، الفوز بالسعادة، تر: سمير عبده، منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت، 1980، ص10.
2. براتراند رسل، الفوز بالسعادة، ص11.

يمتلكون الصحة والعافية، وبعضهم الاخر بالألم، وبعضهم يشعر بها في الترف والمال.وبعضهم بالزهد والفقر، أو في النساء والاولاد، أو العيش بدونهم، أي أن السعادة هنا مفهوم نسبي يختلف به البشر تبعاً لما يجدونه مناسباً في حياتهم"**فالإنسان التعيس سيتبنى، عموماً، إيماناً متشائماً، في حين أن السعيد سيعتمد ايماناً متفائلا، كل واحد منهما سيغُرى بأن يعزو سعادته أوتعاسته إلى معتقداته، في حين أن العكس هو الصحيح. هناك بعض الشروط الضرورية لسعادة غالبية البشر، ولكنها أمور جداً بسيطة: المأكل والمأوى والصحة والحب والعمل المكلل بالنجاح واحترام المحيط وإنجاب الأولاد**". **(1)**

أي أن مايمكن أن نصل اليه في حدود استطاعتنا من مجموع متطلبات الحياة البسيطة التي تحدث عنها **براتراند رسل**، ماهي الا لحظات طبيعية تمر في حياتنا، ننال منها القسط القليل من المسرة واللذة بفترة زمانية وتنتهي، فهي ليست سعادة نبتغيها بقدر ما تكون متطلبات طبيعة في حياتنا المنشودة" **إذاً فما يجب طلبه هو أكبر مجموع ممكن من اللذات مدى الحياة**".**(2)**فطلب أكبر عدد ممكن من اللذات يجب أن يحقق أكبر عدد ممكن من السعادة لدى أكبر عدد ممكن من الناس. لكن هل السعادة التي نتحدث عنها مساوية لهذه اللذات؟نجيب عن هذا التساؤلمن خلال هذا السردالتاريخي لمفهوم السعادة كما رآها المفكرون والفلاسفة والمذاهب الفلسفية الأخرى، قبل الخوض في تحديد مفهوم السعادة عند **سبينوزا**.

---

1. براتراند رسل، غزو بالسعادة، تر: سمير شيخاني، دار الامير للثقافة والعلوم: بيروت، ط 1، 1995، ص182.
2. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ت، 1936، ص294.

أولاً. العرضالتاريخي لمفهوم السعادة:

لوعدنا إلى الفلسفة اليونانية لوجدنا هناك تخبطاً في اراء الفلاسفة حول مفهوم السعادة، التي اعتبرها البعض بانها الخير الأسمى أو أنها الخير المطلق، هذا من ناحية أولى، ومن ناحية ثانية منهم من اعتبرها أنها جزئية ومنهم

من اعتبرها أنها كلية، ومن ناحية ثالثة منهم من اعتبرها نسبية ومنهم من اعتبرها مطلقة، على هذا فقد أتقسمت اراء الفلاسفة اليونان إلى عدة مذاهب حول السعادة.

فالسفسطائية ذهبت بالأخلاق إلى حد تجعل من الإنسان مقياس كل شيء "**فقد انصرفت عنايتهم الى البحث عن سعادة الفرد وتدعيم كيانه والسعي الى تحقيق النجاح**"(**1**). على هذا نجد أن السعادة عند السفسطائية تبدأ من ذات الانسان، فهي الاساس في اكتساب ما يراه ملائماً، وكل شيء عندهم مكتسب يتم بواسطة التعلم.

اما سقراطفلقد ربط السعادة بالحكمة، والحكمة بنظره هي اختيار الأفضل في أمور الحياة، وبذلك يعتبر سقراط هو الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، ولقد عرف سقراط السعادة بقوله:" **السعادة هي ليست في الجمال ولا في القوة ولا في الثراء أو المجد، ولا هي في المظهر الخارجي، ولكنها حالة معنوية خالصة، فالسعادة ليست في إشباع اللذات، وإنما في التمسك بالفضيلة**"**(2)**

ومن هنا نجد أن السعادة عند **سقراط** هي نتيجة لحالة نفسية تتم بانسجام الرغبات الإنسانية من جهة، وبين ظروف الإنسان الحياتية من جهة أخرى، فالذي أراده **سقراط** من هذا الانسجام هي فكرة الاعتدال، التي تحدث إذا استطاع الإنسان بالعقل السيطرة على دوافعه وشهواته، وهنا يصل الإنسان إلى المعرفة الصحيحة عن الفضائل، فالإنسان إذا عرف الفضائل أصبح سعيداً وأصبحت فضائله خيرة.

---

1. مطر، اميرة حلمي، الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية: القاهرة، 1968، ص.121
2. مطر، أميرة حلمي، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار القباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص150.

ولهذا نظر **أفلاطون** إلى السعادة من جهته واعتبرها فضيلة من الفضائل الإنسانية، واعتبر الخير قمة هذه الفضائل "**واعتبر أيضاً السعادة هي الغاية العظمة للأخلاق، والسعادة بنظره لا يمكن أن تتحقق بدون الاعتدال بين الفضائل الثلاثة: العاقلة والشهوانية والغضبية. فكل قوة من هذه القوى الثلاث لها فضيلتها الخاصة، والسعادة تكون في اتباع الفضيلة.... فمفهوم السعادة كثيراً ما يختلط عنده بمفهوم الخير الأقصى أو الخير الأسمى**".**(1)**

فالاعتدال الذي نادى به **أفلاطون** يحقق السعادة للإنسان، وهذا لا يتم أيضاً إلا إذا سيطرت القوة العقلية على القوتين الآخرتين (الشهوانية_ والغضبية).ولقد أكد على "**إن التعدي على وظائف الغير، والخلط بين الطبقات الثلاث يجر على الدولة أوخم العواقب**". **(2)**

أما أرسطو فقد نظر إلى السعادة على أنها غاية الأفعال الإنسانية، فكل فعل يحقق السعادة هو فعل خير، فقد تحدث في كتابه **(الأخلاق النيقوماخية)** لدراسة السعادة وجعل منها بحثاً هاماً لدراسة حياة الموجود البشري وعرفها بأنها:"**علم عملي يبحث في أفعال الإنسان من حيث هو إنسان، ويهتم بتقرير ما ينبغي عمله وما ينبغي تجنبه، لتنظيم حياة الموجود البشري وتدبيرها على أحسن وجه**".(**3**)ويعتبر **أرسطو** أن هناك ثلاثة أصناف للعيش، أولها الشهوات باللذيذ وهذه سعادة اللحظة التي يعيشهاالانسان .وثاني هذه الأصناف الحصول على المجد والخلود وهذه السعادة يختص بها جزء بسيط من البشر.وثالث هذه الأنواع يراها **أرسطو**هي التأمل والتعقل حتى يصل الإنسان إلى الكمال الإنساني. وهي أعلى مراتب السعادة عنده.

---

1. إمام، إمام عبد الفتاح، محاضرات في فلسفة الأخلاق، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة: 1974، ص.51
2إمام، إمام عبد الفتاح، محاضرات في فلسفة الأخلاق،ص.56
3. إبراهيم، زكريا، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، ط1، 1969 ص144.

ويرى **أرسطو** من جانب آخر أن هناك جوانب أخرى مضادة لهذه الجوانب الثلاثة تؤدي إلى إفساد السعادة، فلا يمكن أن نقول عن أي شخص إنه سعيد مهما وصل إلى ما يريده من اصناف السعادة، وهذاما أكده **أرسطو**في قوله:"**إن القوة النظرية من العمل الإنساني هي الجانب القدسي من الإنسان، لأنها القوة القادرة على مفارقة وجوده المادي لتأمل ما وراء هذا الوجود، وإدراك الحقيقة القصوى للوجود، الوجود الالهي**".**(1)**

اما الأبيقوريةالذين أطلقوا على السعادة اسم الملذات العليا كالنشاط العقليوحب الجمال والعبادة الروحية، رفضوا أن تكون السعادة غاية في ذاتها، بمعنى أن أكون سعيداً عندما أرى نفسي جميلاً فقط،لذلك من العبث وصف السعادة بأنها وسيلة لتحقيق غايات أخرى.بل على العكس يجب أن تكون بنظرهم كل ما يسبب له اللذة "**فالسعادة لا تتم للإنسان الا بالحكمة والتعقل والتمسك بالفضيلة خاصة فضيلة الأمانة والعدالة، ... لذلك قسم أبيقور اللذات الى ماهو طبيعي وضروري لحياة الانسان كالأكل والنوم، والنوع الثاني الى ماهو طبيعي ولكن ليس ضرورياًكاللذات الحسية، ثم النوع الثالث الى ماهو غير طبيعي وغير ضروري كاللذات الكمالية**".**(2)**

من هنا نجد أن الحكمة عندهم هي مبدأ الخيرات وهي أعظمها، وهي ينبوع سائر الفضائل، ومن المتعذر عندهم أن يكون الإنسان سعيداً إذا لم يكن حكيماً.

إذاً نرى أن أساس السعادة عند **الأبيقورية** هي الحكمة، فعن طريقها نتجاوز كل العثرات من بؤس وشقاء وخوف من الموت، حتى نصل إلى السعادة الحقيقية، فالسعادة الحقيقية لا يحصل عليها الا الإنسان الحكيم الذي يحقق السلام الداخلي فيما يجول في خاطره.

1أرسطو طاليس، النفس، تر: احمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1949، ص.112
2. مطر، أميرة حلمي، الفلسفة عند اليونان، ص295.

أما *الرواقية* فقد نظرت إلى السعادة بطريقة تفوق النظرة الأبيقورية،فالسعادة عندهم لا يمكن أن تدخل حياة الإنسان إذا لم يتحرر من الشرورو المفاسد بواسطة إرادته " **إن الذي يصيب الناس ويؤثر في حياتهم ليست هي الأشياء نفسها، بل آراؤهم عن الأشياء، فلو كان سقراط يرى الموت شراً لوقع الرعب منه في قلبه،لم يكن يرى الموت شراً فأقدم عليه غير مبال**".**(1)**

من هنا فإن الشر الذي نراه في العالم هو شر ضروري لأن له ضد وهو الخير، فالله دائماً خير وهو على الدوام خير لكن الشر الذي يعيق السعادة الإنسانية إنما هو الشر الصادر عن النفسالانسانية، واعتبروا هذه الصفة للإنسان الناقص الذي "**لا يرتقي بعقله وارادته الى الطبيعة الكلية..... فتظل افعاله من جنس موضوعاتها لا خيرا ولا شراً، ينقصها لكي تصير خيراً وفضيلة ان تصدر من العقل المطابق للعقل الكلي**".**(2)**

أما الفلاسفة العرب فقد كان منظورهم عن السعادة لا يختلف عن الفلاسفة اليونان كثيرً، فالغبطة الروحية التي توصلهم للخالق اعتبروها طريق الدخول الى الجنة، ولقد أطلقوا عليها السعادة القصوى وهي قمة انواع السعادة التي يبتغيها الموجود البشري، وهذا لا يتم بدون تطهير النفس من شرور الحياة. فالخير هو الخير العام الذي يطمح إليه كل إنسان وهو موجود بالفطرة التي ولد الانسان عليها، ولكن الشر من منظورهم تابع للنفس الأمارة بالسوء التي اعتبروها

مصدر الشر، وعلى هذا النحو تكون النفس الإنسانية هي مصدرالشر، أما الخير فموجود قبل وجودها. **فابن مسكويه**يختلف مع الرواقية في تحديد مفهوم السعادة حيث يقول: "**فأما الرواقيون فظنوا أن الناس كلهم يخلقون اخياراً بالطبع، ثم يصيرون بعدُ اشراراً بمجالسة اهل الشر،**

1امين، عثمان، الفلسفة الرواقية، مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة، 1971، ص.163

2. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936، ص308.

وبالميل إلى الشهوات الرديئةالتي لا تقمع بالتأديب فينهمك فيهاثم يتوصل اليها من كل وجه ولا يفكر في الحسن منها والقبيح".**(1)**أن الإنسان يولد خالياً من شرور الحياة، ولكي يصل هذا الإنسان الى السعادة الكاملة عليه أن يتحرر من هذه الشرور، وهذا لا يتم عند **ابن مسكويه**الإإذا تحرر الإنسان من مرافقة الناس الأشرار لأنهم هم من يجلبون الشر ويبعدون الخير عن أهله، وعلى هذا رتب **ابن مسكويه** السعادة بمرتبتين، سعادة دنيوية وسعادة أخروية، ولكل واحدة من هذه المراتب حقيقتها حيث يقول: "**السعادة هي الخير بالإضافة الى صاحبها، وهي كمال له، فالسعادة هي خير ما، وقد تكون سعادة الأنسان غير سعادة الفرس**".**(2)**وهنا نرى تفاوت الكثير من السعادات بطبيعتها التي يولد الناس على طلبها، والتي تعتبر بمثابة حاجة اساسية في حياتهم منذ الولادة حتى الممات، فهي تختلف بطبيعتها مع غيرها من السعادات الأخر، فوجودها عند الانسان مختلف عن وجودها عند الحيوان، فمهما بلغ الإنسان من الاكتفاء الذاتي بدرجة عالية من السعادة، فإنه دائماً بحالة من طلب المزيد منها.

أما **الفارابي**فقد نظر إلى السعادة من منظوره الخاص عندما صنف الناس الى ثلاثة درجات يسميهم على التوالي "**الحر، والبهيمي، والعبد المطيع، ويقيم تقسيمه هذا على امرين هما: جودة الروية وقوة الارادة او العزيمة**".**(3)**هذا التقسيم عند الفارابي مرتبط بالأفعال الحسنة والافعال القبيحة، فاذا قام الانسان بالفعل الحسن من تلقاء نفسه بدون قوة اخرى تدفعه اليه كان ذلك الصنف الحر من البشر يقوم بأفعاله بناء على القوة والارادة التي تقوده للسعادة تجاه ذلك الفعل.

---

1. ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد مسكويه، تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، تحقيق: قسطنطين زريق، الجامعة الامريكية في بيروت: بيروت، 1966، ص32.

2. ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد مسكويه، تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، ص.32

3. قابيل، عبد الحي محمد، المذاهب الاخلاقية في الاسلام (الواجب . السعادة)، دار الثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة، 1984، ص290.

وأما إذا قام بالفعل القبيح، فإن نفسه هي التي دفعته لذلك وكانت شهواته تجاه الفعل قبيحة، فهو من صنف البهيمي، أما الصنف الثالث وهو الإنسان المطيع فهو من يطيع الأثنين القبيح والحسن.

وقد نظر **ابن سينا** إلى مفهوم السعادة عن طريق تحرر الأبدان من ملاذ الحياة والتشوق الى الكمال الأعظم، فالنفس البشرية إذا كانت طاهرة وصل الانسان بها الى السعادة القصوى، وعلى ذلك قسم النفس إلى ثلاثة أقسام بحسب قدرتها على إدراك السعادة وهي " **الأولى منها ويسميها الأنفس الزكية، والثانية يسميها بالأنفس البله، والصنف الثالث يسميه بالأنفس المقدسة**".**(1)**وينظر **ابن سينا** إلى هذه الأنفس الثلاث من أجل وصول الإنسان إلى السعادة الكاملة، وذلك بطريقة التشوق إلى الكمال الأعظم، وهذا كما ذكرناهإذا تحررت الأبدان من ملاذ الحياة.

وإذا ما انتقلنا الى الفلسفة الحديثة فنجد أنه لايوجدعند **ديكارت** فيرى أنه لا يوجد سعادة أو شقاء بالمطلق، وإنما تفكير الإنسان يشعره بإحداهما، أي أن السعادة والشقاء هي ما يصنعه البشر لأنفسهم، والإنسان هو من يجلب لنفسه التفاؤل والتشاؤم، وعلى هذا يقول **ديكارت:** "**إنك عندما تقيد نفسك بوصف ما تعيهفأنك ستهتدي الى جميع الاشياء من أشكال وتصورات وأوجاع ورغبات**".(**2**)وعلى هذا تكون السعادة والشقاء صفتين متلازمتين بالحياة، وكلما سيطر الانسان على نفسه حصل على سعادته بطريقة الجام رغباته، وعلى العكس، كلما جعل نفسه ترافق الشهوات حل الشقاء بدل السعادة.

---

1. قابيل، عبد الحي محمد، المذاهب الاخلاقية في الاسلام (الواجب . السعادة)، ص.294

2. شاخت، ريتشارد، رواد الفلسفة الحديثة (من ديكارت الى كانط)، تر: احمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص25.24.

ثانياً . السعادة في المفهوم السبينوزي:

لقد كان **سبينوزا** من الفلاسفة القلائل، الذين أدلوا بإجابات صريحة حول مفهوم السعادة. وهذا ما أدركه عندما رأى أن السعادة لا تتم فيما يطلبه البشر من لذائذ، فكل البشر يسعون وراء الثروة والشهرة والمتعة معتقدين أن ما يطلبونه سيجلب لهم السعادة وعندما يصلون إلى ما اعتقدوا به فإنهم يعيشون بخيبة أمل.فتحديد ماهية السعادة كما رآها فيلسوفنا تتمبما يجلبه الإنسان لنفسه حتى يتمكن من العيش الرغيد ويجب على الإنسان أن يعرف أن هناك نقطة بداية في كل حياة، فالرجوع إلى الماضي الإنسانيالذي عاشه، ومهما كان نمط الحياة، فإنه يجلب الشقاء النفسي الذي يجعل الفرد بعيداً عن متناول هدفه، لذلك يجب أن يكون السعي وراء الحياة مليئاً بالمثابرة وموجهاً نحو الأهداف السامية.

فلوحاولنا تعريف السعادة من موقع **سبينوزا** لوجدنا أنها: شعور ناتج عن عمل يحبه الإنسان أو هي شعور ناتج عن فعل قام به وأثمر هذا الفعل اتجاهات عديدة في حياته، وعلى هذا كانت النظرة التي سددها **سبينوزا** للسعادة بقوله:إنها طاقة من الرضا يحصل عليها الإنسان عندما يكون راضياً عن فعله، لأن الإنسان إما منفعلاً خاضعاً لشهواته ومزهواً بنفسه، وفي ذلك شقاؤه، وإما فاعلاً متعقلاً ومسيطراً على انفعالاته ورغباته، وهذه هي الصيغة الأخلاقية التي تحقق لصاحبها الارتياح والسكينة والسعادة.

معنى هذا أن **سبينوزا** يعتبر أن العقل هو الحد الفاصل فيما بين الفعل والانفعال إذا سيطر الإنسان على فعله عندما ينفعل بطريقة العقل، بنظر فيلسوفنا، هنا تتم السعادة في كبح رغبة النفس ولا تتجاوز حدودها وهذه السعادةالعقلية "**فعلى الإنسان أن يتحكم في رغباته وتوجيهها توجيهاً عقلياً، وإذا كانت الغاية من الحياة الإنسانية هي السعادة فقط، فإن الدين يقدم للعامة طريقاً مختصراً وبسيطاً للوصول إليها، وهو الطاعة والخضوع والالتزام بالأوامر الإلهية، وهذا ضروري بالنسبة لهم لأن طريق النظر العقلي إلى السعادة والمتمثل في إدراك طبيعة الوجود والقانون الطبيعي الذي إذا اتفق سلوك الإنسان معه تحققت له السعادة وهذا ليس متاحاً للعامة بل هو خاص بأصحاب العقل والتفكير الفلسفي**".**(1)**

فالفرق بين السعادة والرغبة عند **سبينوزا** في أن كلاً منهما مصحوب بوعي الإنسان تجاه ما يريد، وتجاه ما يهدف اليه من لذات جزئية،يقول **سبينوزا** في ذلك بأنه: "**لا يوجد أي فرق بين الشهوة والرغبة عدا أن الرغبة تتعلق عموماً بالإنسان من حيث أنه يعي شهواته، لذلك يمكن تعريفها كما يلي: " الرغبة هي الشهوة المصحوبة بوعي ذاتها** ".**(2)**

أي أن الرغبة يجب أن تعي ما تريده سواءً أكان خيراً أم شراً، ولا يجب أن تكون مصحوبة بالانفعال تجاه ما يريده الجسم من حاجات ضرورية.لذلك تكون الرغبات الناتجة عن الانفعالات أشد خطراً وأشد عنفاً من الرغبات الناتجة عن معرفة الانسان من أن هذه الرغبات خير او شر في حاضر الانسان او مستقبله، " **فالرغبة التي تتولد عن المعرفة الصحيحة للخير والشر، على اعتبار أن هذه المعرفة تتعلق بأشياء حادثة، يمكن ان تعوقها ايضاً وبأكثر سهولة الرغبة في الاشياء الحاضرة**". **(3)**فالإنسان دائماً يسعى الى ما يراه خيراً في حياته ويبتعد عما يراه شراً، وهو الإسان المولود كصفحة بيضاء لا يعرف سوى أنه موجود،لكن الحاجات والدوافع هي التي أدت به الى طلب السعادة بواسطة اللذة التي يحتاجها الجسم، وهنا يكون البحث عن السعادة في مضمار السلوك والتصرف الذي يجلب للإنسان العيش الطيب.

---

1. سبينوزا،رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1981، ص365-367.
2. سبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة جلال الدين سعيد، دار الجنوب، تونس 1966، ص.158
3. سبينوزا، علم الأخلاق، ص246.

وهذا ما عبر عنه فيلسوفنا حين اكد على أنه "**لا أحد يمكنه أن يرغب في السعادة وفي حُسن السلوك وطيب العيش دون أن يرغب في نفس الوقت أن يكون ويسلك ويعيش، أي أن يوجد بالفعل**".**(1)**

هذا ما اراد فيلسوفنا أن يبينهبأن العيش السعيد والسلوك الطيب هو كل ما يريده الإنسان، وهنا يجب أن نفرق بين اللذة والسعادة، فاللذة إذا تحققت لصالح الجسد فقط لا يمكن أن تسمى سعادة مستقبلية له بل إنها سعادة اللحظة التي أشبع فيها هذا الجسد شهوته، وهي على العكس من اللذة التي يبتغيها الإنسان لصالح الخير العام وتكون هدفه وسعادته التامة.وهنا لا اقصد اللذة في فعل الخير وحسب، بل في لذة الجسم لما يرغبفمن هنا نجد ان السعادة على خلاف جذري مع اللذة"**والواقع أن الأصل في اللذة أنها مرتبطة بمنطقة ما من مناطق الجسم، في حين أن السعادة حالة نفسية تستوعب كيان الإنسان كله ومن هنا فقد كان لكلمة (اللذة) جمع (فنقول اللذات) بينما بقي لفظ (السعادة) مفرداً**".**(2)**

إذاً من هنا نصل الى أن مفهوم السعادة السبينوزي في أن الإنسان يمكن ان يحصل على سعادته بواسطة لذات عدة ليصل الى سعادة واحدة مفردة تغنيه عن كل السعادات التي وصل اليها.فالإنسان عند فيلسوفنا مركب من نفس وجسد، شهوة وعقل، يولد وهو جاهل لنفسه، وهو يعرف ان ما يحقق له السعادة هو جزء منهوليست ملكاً لغيره "**فالإنسان شهوة وعقل، وليس الناس معنيين جميعاً من قبل الطبيعة لان يسيرو طبقاًلقوانين العقل، فهم يولدون جهلاء ويقضون الشطر الاكبر من الحياة قبل ان يدركوا الفضيلة ويكتسبوها فما دمنا نعتبر الناس عائشين في حالة الطبيعة فحسب،**

---

1. سبينوزا، علم الأخلاق،ص251.
2. زكريا ابراهيم، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، ط1، 1969، ص 143.

فلكل منهم مطلق الحق في اتباع الشهوة واصطناع القوة أو اتباع العقل".**(1)**

إذاً ففي الحالة الطبيعية من يتبع العقل يفوز بالسعادة الأبدية، وعلى حد تعبير **سبينوزا**أن الإنسان يذهب إلى الخطأ معتقداً أنه صواب مع العلم أن هذا الفعل الذي قام

به معروف بالنسبة له، ولكنه يجهل الأسباب التي دفعته لأن يقوم بهذا الفعل " **فالإنسان ذو الأفكار القاصرة انسان سلبي لان ما يفعله يعتمد على ما يحدث له لا على حقيقة طبيعته كما هي، فهو اقل مراتب الحقيقة، من الانسان الفعال**".(**2**) معنى هذا أن مقابل الإنسان السلبي هناك إنسان إيجابي، لكن السؤال كيف يظهر الإنسان الإيجابي على انه إنسان كامل يحقق لنفسه السعادة؟

للإجابة عن هذا التساؤل نقول أن الإنسان الكامل هو من يفعل الخير للأخرين قبل أن يفعله لنفسه،لذلك نربط مفهوم الخير مع الانسان الكامل الذي يحاول بطبيعته أن يكون الاخرون بخير وأحراراًوحكماء على الدوام، وأن يبُعْد مفاهيم الكراهية والنفور من حياة هؤلاء، فيرى فيلسوفنا " **أن العقيدة الدينية تكون حسنة مادامت تعمل في الحياة الفاضلة**". **(3)**

من هنا نجد ان المعتقدات الدينية هي التي تخلق الانسان الفاضل إذا ابعد عن نطاق السياسية،فالحياة السياسية إذا تحررت من سلطة الدين تكون ناجحة لكن بشرط اساسي هو ان يتحرر الدين من سلطة السياسة، أي ان طبيعة الافراد في المجتمع الذي يعطي السياسة حقها ويعطي الدين حقه يكون قد تحرر في نهاية المطاف من التقاليد الخرافية التي تجعل الانسان سيداً وتجعل الدين معتقداً، وما عدا ذلك فإنه يعطي المجتمع حالة من الشقاء الابدي بغض النظر عن أي تعاقد اجتماعي كما قال عنه **هوبز**.

---

1. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت، ص124.
2. نجيب محمود، زكي، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم: بيروت، د.ت، ص.253
3. نجيب محمود، زكي، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص254.

"**فالعلاقة بين الله والاشياء هي علاقة تحليلية**".(**1**)فما دامالناس متفاوتين في قدراتهم الطبيعية،كان لابد لهم من أن يطيعوا للوصول الى الحياة الفاضلة ودرجة الكمال والسعادة المطلقة ،" **فالله لم يحاول ثم أخفق في أن يخلق إنساناً كاملاً، فالمادة بالنسبة له لم تكن تعوزه لخلق كل شيء من أعلى الى أدني درجة من درجات الكمال... فالقوانين الخاصة بطبيعته كانت من الكثرة بحيث تكفي لخلق كل شيء**".**(2)**

من خلال ذلك نرى أن الناس جميعاً ينشدون السعادة، حتى من اعتبر نفسه خالياً من علاماتها،وهذا ما انطلق منه فيلسوفنا "**إذا عرفنا الأخلاق السبينوزية بانها اخلاق السعادة، وفلسفته بانها فلسفة الفرح، باعتبار أن الطرح الأخلاقي لقضية الفرح والسعادة في كتاب علم الأخلاق لا يخرج عن نطاق التساؤل الاتي: كيف اضمن لنفسي أكبر عدد من انفعالات الفرح واقل عدد من انفعالات الحزن**".(**3**) من هنا تكون السعادة السبينوزية هي نتاج معادلة هندسية صاغها فيلسوفنا بطريقة الأخلاق، أي أن ما ينتج عن الفرح هو السعادة، وما ينتج عن الحزن هو الشقاء، وكلاهما انفعال نفسي صادر عن رغبة الانسان، فمن الامور التي اتفق عليها الكثير ممن كتبوا عن **سبينوزا** أنه من ألد أعداء اللذات الحسية، وهذا موجود في كتابات عدة لذلك حذر من الافراط فيها، وهنا نجد الفرق بين كل من الفرح والحزن والرغبة، حيث " **أن انواع الفرح والحزن والرغبة، وما يتبعها من انفعالات مركبة منها، كتقلب النفس، او متفرعة عنها، كالحب والكراهية والامل والخشية ...الخ، هي بقدر انواع الاشياء التي نتأثر بها**"**(4)**

1. زكريا، فؤاد، سبينوزا، دار التنوير: بيروت، 1981، ص.127
2نجيب محمود، زكي، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص254.
3 سبينوزا، رسالة في اصلاح العقل، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب: تونس، 1966، ص19.
4. سبينوزا، علم الأخلاق، ص202.

فمن الجدير بالذكر أن يكون الأنسان متهيئاً لتقبل السعادة بفرح أو لذة يبتغيها أو رغبة ما احتاجها لتحقيق دوافعه، او من ناحية اخرى يأتي الطرف النقيض لكل من الفرح واللذة والرغبة ويكون حاجزاً أمام تحقيق السعادة، فالأنسان على هذا ينتقل من حالة إيجابية الى حالة سلبية، أي الانتقال من كمال أعظم الى كمال أقل، وكل ذلك موجود في ذهنه.

لذلك مهد **سبينوزا** لتعرف اللذة والألم كما هو موجود في كتابه **(الأخلاق)** التي تحدث عنها فيقول: "**أن كل ما يزيد في قدرة الجسم على الفعل أو ينقص منها، ويساعدها أو يعوقها، أنما قدرته تزيد في قوة النفس على التفكير أو تنقص منها، وتساعدها أو تعوقها**". **(1)**

إذاً فالانفعال المصحوب بالفرح أنما هو سعادة داخلية جعلت الإنسانإالى حد ما يقوم بالبكاء إذا كان الأمر مفرحاً، وبنفس اللحظة جعلته يصاب بالحزن إذا كان الأمر محزناً. اذاً يكون " **الفرح الأنفعال الذي تنتقل به النفس الى كمال أعظم، والحزن الأنفعال الذي ينتقل به الأنسان الى كمال أقل**". **(2)**

وهنا نكون قد وصلنا إلى الهدف الذي تطمح إليه النفس من تحديد مسار الأنفعال الصادر عنها، **فاسبينوزا** تفرد عن سائر الفلاسفة الذين جعلوا الانفعالات مظهراً من مظاهر الضعف البشري عندما يعترضه أي موقف من مواقف الحياة، فيلجأ هذا الكائن البشري الى التشاؤم، ويغمر حياته الحزن وتبدأ مظاهر الشكل الخارجي بالانهيار تارة، وينحل هذا المخلوق الى جثة هامدة تعيش الروح فيها من قلة الموت تارة أخرى.

1. سبينوزا، علم الأخلاق، ص159.
2. سبينوزا، علم الأخلاق، ص.ن.

خاتمة:

وهنا نكون قد حصرنا مفهوم السعادة عند **سبينوزا**بعدة نتائج منها ربط السعادة بالخير، وجعل الخير هدف يريده الانسان في تحقيق السعادة له وللصالح العام،وهنا يوافق فيلسوفنا **سقراط** الذي رأى أن العلم فضيلة والجهل رذيلة،فالخير عند **سبينوزا**هو الله الذي جعله في مقدمة كتابه **(الاخلاق)**ورأى ان " **الخير الاسمى بالنسبة الى النفس انما هو معرفة الله، وأسمى فضائل النفس أن تعرف الله**". **(1)**والنتيجة الثانية نجد أنأراءه مختلفة عن سائر الفلاسفة، فلقد عالج المسالة الأخلاقية على النمط الاقليدي الهندسي، فهو غير المدرسيين الذين ينطلقون من المحسوس الى معرفة الله، فالنقطة التي انطلق منها فيلسوفنا ابعدته كل البعد عن العواطف والمشاعر التي لا يمكنها أن تقاس بميزان الخطوط والمسطحات الهندسية والتي تعتمد في برهانها على الفرض والطلب في النظريات الهندسية، فما يفرحني اليوم قد يغضبني غداً، وما أراه انا خيراً قد يراه الاخرون على أنه شر. فالفرح والحزن لا يمكن أن تأخذ شكل خط بياني.أما ثالث هذه النتائج نرى أن السعادة منعزلة تماماً عن الجانب الأخلاقي، وذلك لما يمر به الكائن البشري من انماط في سلوكه، فالتفاوت بين البشر في السعادة يخلق فجوة كبيرة لما أراده فيلسوفنا،فكل ما أراده ماذا يجب أن أفعل كي أفوز

بالسعادة؟فالفوز بالسعادة الحقيقية لآياتي من المعرفة الظنية بالله، ولا مما هو محسوس أو مادي، بل ان السبيل الوحيد للوصول الى السعادة القصوى والسعادة الحقيقية هو معرفة الله بكل تجلياته، فكل ما نبتغيه في الحياة هو من صنع الله وهو موجود في الله ولا يمكننا أن نتصور حياتنا بعيداً عن الله، وهذا ما قاله **سبينوزا** في أن" **كل ما يوجد انما يوجد في الله، ولا يمكن لأي شيء ان يوجد او يتصور بدون الله**".**(2)**

---

1. سبينوزا، علم الأخلاق، ص.255
2. سبينوزا، علم الأخلاق، ص45.

المصادر والمراجع:

1. إمام، إمام عبد الفتاح، محاضرات في فلسفة الأخلاق،دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة: 1974.
2. إبراهيم، زكريا،المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، ط1، 1969.
3. أرسطو طاليس، النفس، تر: احمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1949.
4. امين، عثمان، الفلسفة الرواقية، مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة، 1971.
5. ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد مسكويه، تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، تحقيق: قسطنطين زريق، الجامعة الامريكية في بيروت: بيروت، 1966.
6. براتراند رسل، الفوز بالسعادة، تر: سمير عبده، منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت، 1980.
7. براتراند رسل، غزو بالسعادة، تر: سمير شيخاني، دار الامير للثقافة والعلوم: بيروت، ط1، 1995.
8. زكريا، فؤاد، سبينوزا، دار التنوير: بيروت، 1981.
9. سبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة جلال الدين سعيد، دار الجنوب، تونس 1966.
10. سبينوزا، رسالة في اصلاح العقل، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب: تونس، 1966.
11. سبينوزا،رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1981.
12. شاخت، ريتشارد، رواد الفلسفة الحديثة (من ديكارت الى كانط)، تر: احمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
13. قابيل، عبد الحي محمد، المذاهب الاخلاقية في الاسلام (الواجب . السعادة)، دار الثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة، 1984.
14. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ت، 1936.
15. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936.
16. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت.
17. نجيب محمود، زكي، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم: بيروت، د.ت.
18. مطر، اميرة حلمي، الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية: القاهرة، 1968.
19. مطر، أميرة حلمي، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار القباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.